نزع السلاح ونفي الحروب

مضى على ابن آدم الوف من الاعوام ولسان حاله يردّدُ قول ابي تمّام الذي قال

الديفُ اصدقُ إنباءً من الكتبِ في حدّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

وقد قامت الممالك بحدِّ الحسام فلا تعتمدهُ اختيارًا وتوسدت لها السيادة برصاص البنادق فلا تطرحها الاّ اضطرارًا

وكتب الادباء وخطب الفضلاء في مساوىء الحروب وثقل نفقاتها وعبء معداتها والتجييش لم يزل قائمًا على قدم وساق فقد بلغت نفقات اوربا على جنودها في العام الماضي نحو خمسة آلاف مليون من الفرنكات اي نحو مئتي مليون من الجنيهات وهي موزعة على ممالكها كما ترى في هذا الجدول

المانيا	٩١٩ مليون فرنك	الدولة العليّة	١٧٧ مليون فرنك
روسيا	٩٠٠ " "	اسبانيا	١٥٦ " "
فرنسا	٨٩٠ " "	هولندا	٠٨٠ " "
انكلترا	٧٩٦ " "	سويسرا	٠٥٢ " "
النمسا والمجر	٣٥٥ " "	بلجكا	٠٤٧ " "
ايطاليا	٣٤٨ " "		

وجملة ذلك ٤٧٢١ مليون فرنك والممالك العشر الباقية من ممالك اوربا الصغيرة كالبرتغال واسوج ونروج واليونان والسرب ورومانيا انفقت ٢٤٤ مليون فرنك وجملة ذلك كلهِ ٤٩٦٥ مليون فرنك . هذا ما انفقتهُ ممالك اوربا في العام الماضي الذي توطدت فيهِ اركان السلم فما قولك لو نشبت حرب بينها فاضطرت ان تجمع رديف جيوشها وتحرق ما عندها من المعدات وتخرّب البلدان تخريبًا فضلاً عما يهلك من النفوس ويتلف من الاعمال

وقد بذل الفضلاء جهدهم في الحث على ابطال الحروب والانذار بعواقبها الوخيمة فلم يلقوا مجيبًا . ويذهب قوم من نخبة الكتّاب الآن الى ان ممالك اوربا ستضطر الى طرح السلاح قسرًا بعد عهد قريب وتلتجيء الى التحكيم وذلك لان المخترعات الحربيّة الحديثة ستُسترخَص بها الحياة حتى لا يستطيع الناس عليها صبرًا فيتحالفون على ترك الحربيّة دفعة واحدة

وقد وضع احد الكتّاب الاميركيين رواية بديعة في هذا الموضوع في جريدة الكوسموبُلتن قال فيها ما ملخصهُ

خرج قوم من اهالي برازيل على حكومتهم وقبضوا على بوارجها فارسلت الى مدينة نيويورك باميركا تطلب اليها ان تجهز لها سفناً حربيّة سريعة السير باحدث الآلات الحربيّة لكي تطارد بوارج العصاة وتكسرها. فلم يمضِ بضعة اسابيع حتى اعدت مدينة نيويورك سفينة كبيرة وضعت فيها مدفعاً من المدافع التي تقذف الديناميت وتطوّع ثلاثة من تلامذة المدارس الحربيّة للسير في هذه السفينة وادارة ملاحيها والهجوم بها على العصاة فسخرت بهم في ليل حالك الظلام وكانوا جلوساً على ظهرها يتحدثون في امر بارجة كبيرة من بوارج العصاة لان واحداً منهم دخلها منذ مدة وتفحصها جيداً وعرف اخلاق اميرها وكان يصف لرفيقيهِ ما رآهُ فيها من مواقع القوة والضعف ورسمها لهما من كل وجوهها. فقال احد رفيقيهِ ليتنا وقينا هذا المدفع الديناميتي بترسين من الفولاذ بدلاً من ان نتركهُ معرضاً لمدافع العصاة فانهم ان احسنوا تسديد مدافعهم خرقوا مدفعنا بقنابلهم وحرمونا من الواسطة الوحيدة التي نرجو ان نفوز بها عليهم

فقال الاول لقد اصبت فان العصاة امنع منا لكن اذا نفذ القدر بطل الحذر. فقال الثاني هلمّ بنا لننام ونستريح حتى اذا اصبح الصباح والتقينا ببارجة العصاة قابلناها بثبات جاش وانت يا صاح اجتهد على تدبير زورقك الذي يغوص تحت الماء فانك اذا فلحت بهِ كفيتنا مؤونة البارجة واذا هلكت فالحياة ظل زائل وفي موتك تربح زوجتك من شركة ضمانة الحياة خمسين الف ريال وان هلكنا كلنا فنحن شهداء العلم وان نجحنا فهناك الخير العميم والنفع المقيم

فقال الاول وكيف ذلك. فقال الثاني اننا اذا اصبنا بارجة العصاة بمدفعنا ابطل الناس طريقة الحرب الحاضرة لان القنبلة من قنابل هذا المدفع تحرق اكبر بارجة محققاً هي وكل من فيها وتصيّرها هباء منثوراً. والرجل الذي يطلق تلك القنبلة يشتهر اسمهُ في الخافقين وتسير بذكرهِ الركبان ويعدّ اعظم سفّاكٍ من العلماء فيرى ملوك الارض ان الحرب لم تعد من الممكنات فيبطلونها ويلجأون الى التحكيم لفصل ما يقع بينهم من الخصومات. وليس علينا الاّ ان نسدّد مدفعنا الديناميتي حتى تقع قنبلتهُ على البارجة او قريباً منها ولا سبيل لنا اليها بغير ذلك لانها مصفحة بصفائح من الفولاذ (الصلب) ثخنها نحو ثلاثين سنتمترًا وليس عندنا مدفع كبير تقوى قنبلتهُ على خرق هذه الصفائح اما سفينتنا فليست مصفحة

وكل مدفع من مدافع العصاة الكبيرة يقوى على خرقها. فمعتمدنا على مدفعنا الديناميتي وزورقنا الذي يغوص تحت الماء ليقذف التربيد على البارجة وهي لا تراهُ وعلى المدفعيين الذين عندنا فانهم امهر في تسديد القنابل من مدفعيي العصاة. وفي بارجة العصاة كبش ينطح السفن فيبترها لكننا لا نخافهُ لان سفينتنا اسرع من البارجة فتهرب منها في معترك القتال اذا حاولت نطحها. ثم ان العصاة اذا علموا اننا نقذفهم بقنابل الديناميت هلعت قلوبهم وعجزوا عن مناجزتنا فصادق الآخران على كلامهِ وتصافحوا مصافحة الوداع ومضى كلٌّ الى مخدعهِ

وكان في السفينة مئتان من البحّارة كانوا كلهم نياماً حينئذٍ الاَّ الحرّاس القائمين على حراستها ولا سيما حارس مختار منهم كان واقفاً امام المخزن الذي فيهِ الديناميت والريشلفر بيدهِ مخافة ان يكون في السفينة احد من العصاة فيطلق النار فيهِ ويوردها الهلاك في طرفة عين ولو هلك فيها. وفيما كان هذا الحارس ينظر الى قفل الباب ليرى ما اذا كان مقفلاً هجم عليهِ رجل بغتةً وضربهُ على امّ رأسهِ ضربةً القتهُ صريعاً ثم فتح الباب بمفتاح آخر كان معهُ والقى في المخزن فتيلاً مشتعلاً واسرع الى ظهر السفينة ورمى نفسهُ في البحر. ورآهُ حارس من الحرّاس الذين هناك يرمي نفسهُ في البحر فادرك سرّ المسألة حالاً وبادر الى مخزن البارود والديناميت فرأى حارسهُ صريعاً على الارض وكان ذلك الخائن (الذي القى الفتيل) قد غفل عن اقفال الباب ففتحهُ هذا الحارس واطفأ الفتيل باسرع من لمح البصر ولو تأخر عشر دقيقة لاتصلت النار بالبارود والديناميت ولم يبقَ من السفينة عين ولا اثر. ثم اقام اثنين على حراسة المخزن وعاد الى ظهر السفينة

وكان في السفينة طبيب دخلها ليمتحن الميوسين (اي خلاصة العضلات) بالجرحى فقد قيل ان هذه المادة تنهض قوى الجرحى وتسرع شفاءهم وليمتحن العقار الذي استخرجهُ الدكتور كوخ من قطران الفحم الحجري وقال انهُ يقوي القلب فلا يهلع من سماع صوت التربيد ويشد العزائم فلا ترتخي معها شاهد الانسان من اهوال الحروب

وسارت السفينة على هذا النمط والنور الكهربائي ينبعث منها وينير انحاء الافق قصد التفتيش عن بارجة العصاة الى ان بدت غرة الصباح ونهض البحّارة الى تناول الطعام وقضاء الاعمال المفروضة عليهم وفيما هم يفطرون رأى الرقيب سفينة في طرف الافق فلم يكد يخبر الربان بذلك حتى تفرق البحّارة واقام كلٌّ في موضعهِ المعين لهُ وتهيأ بحارة القارب الذي يغوص تحت الماء للنزول فيهِ واتى بقنابل التربيد الى ظهر السفينة . ورأى

العصاة السفينة كما رأيتم فناهبوا النزالها . واجمع رأي رؤساء السفينة على ان يقتربوا من بارجة العصاة حتى يصيروا على ستة اميال منها ويسير الزورق تحت الماء حتى يدنو منها ويلقي التربيد تحتها وتتظاهر السفينة بالهرب من امامها فان افلح الزورق بالقاء التربيد تحت البارجة فقد قضي الامر والاَّ فالاعتماد على المدفع الديناميتي

واحدقت الابصار نحو البارجة ورقبها الرؤساء بنظارة كبيرة في مقدَّم السفينة وللحال ظهر من البارجة اطار من الدخان الابيض ولم يكن الاَّ كلا حَوْلَ ولا حتى وقعت قنبلة على احد سواري السفينة فبرتهُ بري القلم وكان على قمتهِ نوتيان يتكلان فوقعا مضرجين بالدماء . ثم اطلقت قنبلة اخرى فوقعت على نصف ميل من السفينة فاطمأنت قلوب من فيها لانهم رأوا ان العصاة قلما يحكمون رمي القنابل . وللحال أُنزل الزورق وودّع من فيهِ وداعًا لالقاء بعدهُ وادارت السفينة دفتها واخذت تبعد عن البارجة وظلَّ الزورق ماخرًا تحت وجهِ الماء الى ان صار على نصف ميل منها فارتفع قليلاً ليرى من فيهِ مكانهم منها ولكنهُ لم يبلغ وجه الماء حتى رآهُ العصاة وسدَّدوا اليهِ اثني عشر مدفعًا من المدافع السريعة الاطلاق ورموا في البحر عشرة آلات من آلات التوربيد الكهربائي ولم يكن الاَّ لحظة حتى ارتفعت عمد الماء في الهواء وارتفع الزورق مع عمود منها ثم غاص في البحر واختفى اثرهُ . ورأى ذلك رؤساء السفينة فهلعت قلوبهم وترحَّموا على رفقائهم ولكنَّ ما هم فيهِ انساهم ما رأوهُ فاداروا سفينتهم نحو بارجة العصاة وانزلوا قاربين من قوارب التربيد لكي يشغلوهم بهما واتوا بقنبلة من قنابل الديناميت ثقلها خمسون رطلاً وادخلوها في المدفع الطويل المشار اليهِ آنفًا وتربصوا الى ان صارت سفينتهم على ثلاثة اميال من البارجة فاطلقوا هذه القنبلة الجهنميَّة فطارت في الهواء حاملة الموت الذوَّام على جناحيها ثم انحدرت رويدًا رويدًا الى ان وقعت في الماء بعد احدى عشرة ثانية على نحو مئة متر من البارجة وللحال ارتفع من البحر عمود كبير من الماء الى علو مئتي قدم وماج البحر كأن جبلاً وقع فيهِ وحملت امواجهُ البارجة ورفعتها الى طبقات الجوّ ثم حدرتها الى الحضيض كأنها كرة تتلقفها الصوالج ولكنها لم تصبها بمكروه . وجهد ما احدثتهُ ان بحارة البارجة غابوا عن رشدهم بضع دقائق ثم افاقوا وعادوا إلى اطلاق القنابل بعزيمتهم الاولى

ورأى رؤساء السفينة انهُ لم يبقَ لهم مناص الاَّ بتسديد المدفع الديناميتي حتى تقع قنبلتهُ على البارجة او بجانبها تمامًا فأتوا بقنبلة اخرى ثقلها مئتا رطل . ورأى العصاة ذلك فاخذوا يسددون بعض مدافعهم على درجات عالية لكي يصيبوا القنبلة وهي في الهواء

فتنفجر قبلما تصل اليهم . ولم تكد القنبلة تخرج من فم المدفع وتعلو في الهواء حتى تسارعت اليها القنابل من مدافع العصاة فاصابتها وفجرتها وهي على نحو مئة متر من البارجة وكان لانفجارها صعقة هائلة لم يسمع بنو آدم ارهب منها ووصلت قطع كثيرة منها الى البارجة فكسرت احد صواريها وطرحت كثيرين من ملاحيها قتلى وجرحى

وكان القاربان المشار اليهما آنفاً قد اقتربا من البارجة فلما سكتت مدافعها بسبب انفجار قنبلة الديناميت وانقشع الدخان ابطاءا في سيرهما لكي لا يراهما العصاة ولكن ربان البارجة لم يكن يغفل طرفة عين فرآهما حينئذٍ وصوّب اليهما بعضاً من مدافعه السريعة فلم يكن الاّ برهة وجيزة حتى تمزق احدهما تمزيقاً وانقلب الآخر على ظهره فهلك كل من فيهما

واقتربت السفينة من البارجة ورأى اصحابها انهم اذا استطاعوا ان يرموا البارجة بقنبلة أخرى من الديناميت فالظفر معقود لهم والبارجة هالكة لا محالة وهذا استطاع العصاة ان يخرقوا المدفع الديناميتي بقنبلة من مدافعهم ويعطلوه فالظفر لهم لان مدافعهم اكثر واسرع وبارجتهم مدرعة والسفينة غير مدرعة

وكان في السفينة قنبلة من الديناميت وزنها خمس مئة رطل فاتوا بها ووضعوها في المدفع ولم تكد تخرج منه حتى اصابته قنبلة في جانبه فشقرته وعطلته الاّ ان قنبلة الديناميت سارت كملاك الموت لا تهاب القنابل المنهالة عليها انهيال السيل وانكسر جناح من جناحيها ولكنها ظلت سائرة الى ان وقعت في البحر على عشر اقدام من البارجة فالتأم انشقت السماء ووثب البحر الى اعالي الجو وتمزق جانب من جانبي البارجة فغاصت في جوف الغمر بكل من فيها كأنها لم تكن في الوجود

وبعد ايام قليلة قابل سفير المانيا وزير الخارجية في روسيا وقال له اني اروي جلالة مولاي الامبراطور انهُ قد ازفت الساعة لنزع السلاح والاعتماد على التحكيم العام في جميع المسائل الدولية . فضحك الوزير وقال إنّ فعلنا ذلك فمن ينجينا من تعيير الاميركيين وافتخارهم علينا ولكنني لا ارى بدًّا من اجابة سؤلك فليكن كما قلت . فتحالفت ممالك اوربا على نزع السلاح وابطال الحروب

هذا ولا شبهة ان ملوك اوربا جانحون الآن الى دوام السلم ولكن دوامهُ على الحالة الحاضرة كثير النفقات تضيع فيهِ الاموال والاعمار فلا يبعد ان يروا من المخترعات الحديثة ما يعرّض جنودهم ومعداتهم للهلاك في لحظة من الزمان فتدعوهم عاطفة الشفقة على الارواح والحرص على الاموال الى الاتفاق على طرح السلاح وهذا غاية ما يتمناهُ الفضلاء والادباء